

الأسلوب الشرعي في نصيحة الولاة والحكام

* سيد عبدالغفار بخاري

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ أَطْيَبُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَفْرَادُ مِنْكُمْ ﴾⁽¹⁾ والصلة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين القائل " الدِّينُ النَّصِيحَةُ قَيلَ لِمَنْ يَا رَسُولُ اللهِ قَالَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِعَالَمِيهِمْ "⁽²⁾ وعلى آل الأطهار وصحبه الأبرار ومن تعهم بمحاسن إلى يوم الدين وبعد! فإن البحث يشمل ما يلي :

أولاً: المقدمة (أهمية الموضوع)

ثانياً: دراسة الموضوع وتكون من أربعة مباحث :

الفصل الأول: تعريف النصيحة شروطها وحكمها للولاية والحكام.

الفصل الثاني : منهج الإسلام في مناصحة الولاة والحكام.

الفصل الثالث: حقوق الولاة والحكام وواجباتها في الشرع

الفصل الرابع: الشبهات التي يعرضها أهل الأهواء والرد عليها

ثالثاً: الخاتمة (النتائج والتوصيات والمقررات)

أهمية الموضوع:

فقد أمرت الشريعة المطهرة المسلمين بإقامة الأخوة الدينية من الحب والإخاء والاحترام والتقدير فيما بينهم، وتقويمهم في تصحيح ما قد يقع منهم من خطأ أو خلل في مسيرتهم الذاتية، ولما كانت النفوس جبلاً للوقوع في الخطأ كان لابد من وجود ما يرشد إلى ما يصلحه ويسده و لذلك أمر الشارع الحكيم بالنصيحة التي تعتمد على حب الخير للمنصوح والرغبة في استقامة حاله وصلاحها. إذا فلننصح مكانة رفيعة ومتلتها عند الله عظيمة وهي دعامة من دعامت الإسلام وأصل من أصوله وهي من أوليات حق المسلم على أخيه المسلم.

وتزداد النصيحة أهمية للولاة والحكام لأنهم من أول الناس بها لعظيم مكانتهم وكبير حقهم ولقوتها أثرهم في الرعية ولكلثرة الأسباب التي تزين لهم الباطل وتصدهم عن الحق. فلذا لابد أن تكون النصيحة واصحاحهم للولاية في مقدمة المتصحين؛ لأن نصيحتهم فيها الخير كل الخير لهم، ولمن يتولون أمرهم، فحقوق الولاة في الإسلام أمر لم تغفله الشريعة بل تضافرت النصوص الصريحة من الكتاب والسنّة الصحيحة، وفقه سلف الأمة على بيانه، وتحذير المسلمين من مخالفته.

فلذلك حرص علماؤنا على نصح الحكام بما يسد مسيرة الدولة، ويرى ذمة العلماء، وهذا كان منهجاً لعلمائنا الكرام، فإن هذه الناحية اى النصيحة من أهم نواحي ذلك التاريخ الوضاء، وقد كان من محسن علماء الإسلام وحماته أن قاموا بنصيحة الولاة والحكام ، وأنتم لهم ما أرادوه من إبلاغ الحق، وإقامة الحاجة في وضوح ونصاعة.

إنّا أمّة مسلمة قد أنعم الله علينا بنعمة الإسلام، وشرع لنا وسائل وأسلوب النصيحة في أداء ذلك الواجب فعلينا أن نختار الأسلوب الصحيح في نصيحة الولاة ولنا فيها قدوة وسيرة السلف الصالح وأن نبتعد بما عن الأمور

* الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة اسلام آباد، باكستان

الغربي الالاديني في كيفية أداء النصيحة، والذين يدعون الناس إلى المظاهرات والثورات والانقلابات و يحثهم على الخروج على الحكام. نسأل الله العفو والعافية والتوفيق.

الفصل الأول: تعريف النصيحة ، شروطها وحكمها للولاة والحكام:

المبحث الأول: تعريف النصيحة ، شروطها وآدابها :

أولاً: النصيحة لغة:

لفظ نصيحة مأخوذة من الفعل نصح، وهو يدل علي معان كثيرة، منها بمعنى خلص قال ابن منظور: "نصح أي: خلص، والناسخ أي: الحالص من العسل وغيره، العسل إذا كان صافيا يسمى ناصحا أي: حالصا، والمصدر نصحا ونصيحة وتقول: نصحت فلانا ونصحت له وهو الأفصح"⁽³⁾ لأنه ورد في القرآن ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾⁽⁴⁾. ويقال: انتصح فلان أي قبل النصيحة، ومنها بمعنى الخساطة ، والنصح مصدر قولك نصح التوب إذا خطته يقال نصح التوب ينصحه نصحا وتصحه: خاطه والمصححة هي الإبرة، ورجل ناصح اي خاطئ.⁽⁵⁾

ثانياً: النصيحة في الإصطلاح:

أما النصيحة في الاصطلاح قال ابن الأثير: "النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة وهي إرادة الخير للمنصوح له، فليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيره أصل النصح في اللغة الخلوص"⁽⁶⁾ أي بلغ من جماع هذه الكلمة وبلاعتها أنه لا يمكن التعبير عن هذا المعنى بكلمة واحدة إلا كلمة النصيحة. وذكر الإمام الخطابي: "معناه".⁽⁷⁾

وقال الإمام الراغب: "الصح تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه"⁽⁸⁾.

وذكر الإمام محمد بن نصر المروذى: قول بعض أهل العلم عن النصيحة: "هي عناية القلب للمنصوح له كائناً من كان"⁽⁹⁾.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

فإذا نظرنا إلى المعانى اللغوية للنصيحة، وهي 1: تخليص القول من الغش 2: وتحري صلاح المنصوح، تبين لنا أن العلاقة بينها وبين المعنى الإصطلاحي توجد وأما بالمعنى الأول وهي تخليص النفس من الشوائب، ونصح العسل هو تخليصه مما يشوبه، كذلك فإن نصح المرأة في تكميل نقصها، وتصفية نفسه مما علق بها من الشوائب والذنوب وبالمعنى الثاني وهي سد النقص، ونصح التوب هو خساطته فكما أن الإبرة تلم التوب المهترى الذى يراد رتقه ، فكذلك الناصح يلم شعث أخيه وما ظهر منه من العيوب بالنصيحة.

قال ابن حجر: "الصح هو تخليص الشيء من الشوائب والغش. فكأنه شبه الناصح بأنه يخلص المنصوح من الغش، ويخلاصه من الشوائب التي علقت به وبحاله، كما يخلص العسل من الشمع والشوائب، ومنه قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾⁽¹⁰⁾ التوبة النصوح هي التوبة الخالصة من شوائب الرياء، والذنوب، والإصرار، وعدم الندم.. إلى آخره"⁽¹¹⁾

قال الإمام النووي : "النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه. ف شبها فعل الناصح فيما يتحرى من

صلاح المنصوص له بما يسدء من حلل التوب"⁽¹²⁾

والجدير بالذكر بأن حقيقة النصيحة على نوعين :

1: تكميل نقص: وهذا في حق العباد الذين يصيّبهم النقص، وقع منهم الأخطاء والذنوب والآثام ، وبتصور منهم التقصير.

2: وصف بالكمال: وهذا في حق الله تبارك وتعالى، وفي حق كتابه الكريم، وفي حق النبي ﷺ

ثالثاً: أركان النصيحة : فلننصح أركان ثلاثة و هي :

1 : الناصح: وهو الذي ينصح غيره

2: المنصوح: وهو الذي ينصحه غيره

3: المنصوح به: وهو الأمر الذي ينصح به الناصح المنصوح

رابعاً: شروط النصيحة :

لابد أن تتوفر في الناصح والمنصوح الشروط التالية:

1- الإسلام: فالالأصل في الناصح أن يكون مسلماً وأما بالنسبة للمنصوح، فيرى بعض أهل العلم أنه لابد أن يكون مسلماً وحجتهم من اشتراط الإسلام قوله السلام: ((والنصح لكل مسلم))⁽¹³⁾.

ويرى ابن حجر عدم اشتراطه وأن التقييد بالإسلام للأغلب، حيث يقول: "والتقييد بالمسلم للأغلب، وإلا فالنصح للكافر معتبر لأن يدعى إلى الإسلام، ويشار عليه بالصواب"⁽¹⁴⁾.

2- البليغ: فيتشترط في الناصح والمنصوح أن يكونا بالغين لأن البليغ مناط التكليف، ومن لم يكن بالغاً فليس عليه تكليف، لقوله السلام: ((رفع القلم عن ثلاثة: وذ كر منها الصبي حتى يختتم))⁽¹⁵⁾.

3- العقل: فلا بد أن يكونا عاقلين؛ لأن العقل مناط التكليف، وقد رفع القلم عنمن ليس بعاقل، وفي الحديث السابق ((وعن المجنون حق يفيق))⁽¹⁶⁾.

يشترط في الأمر الذي ينصح به ما يلي:

1- أن يكون داخلاً تحت الأمر الشرعي، بأن يكون إما طلباً لفعل مطلوب فعله شرعاً، أو طلباً لترك أمر مطلوب تركه شرعاً، وعلى هذا فإن النصح بترك المأمور به شرعاً لا يسمى نصيحة ، وكذا النصح بفعل المحرم شرعاً لا يعد نصحاً شرعاً يحتم على المنصوح قبوله.

2 - أن يكون الأمر المنصوح به قد اتفق أهل العلم على طلب فعله أو تركه، ولا يكون أمراً خلافياً بينهم وهذا أمر متفرع على قاعدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في "أنه لا إنكار على مجتهد، ولا إنكار في أمر مختلف فيه".⁽¹⁷⁾

آداب النصيحة: لابد أن يتحلى الناصح بآداب النصيحة حتى تقع نصيحته من المنصوح موقع القبول، ومن هذه الآداب:

1: أن يقصد وجه الله عز وجل

2: أن يكون النصح بلطف وأدب ورفق

3: أن يكون النصح في السر

4 : اختيار الوقت المناسب للنصيحة

المبحث الثاني: مكانة النصيحة وأهميتها للولاة والحكام :
أولاً: مكانة النصيحة :

إهتم الإسلام إهتماماً كبيراً بالنصيحة، وهي وسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وركناً من أركانه، والخطوة الأولى إذا اشتغلت على الإخلاص لله تعالى وأسلوب الجميل في إسدائهما لمن يرى أنه مستحق لها. إذا فالنصيحة تعتبر ركناً من أركان دين الإسلام الحنيف، وجعل الله تعالى التمكين لهذه الأمة في الأرض إذا قامت به على الوجه المطلوب ولذلك عظم الرسول ﷺ النصيحة فجعلها هي الدين، حيث قال ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ، فُلِّنَا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ لِلَّهِ ، وَلِرَبِّنَا ، وَلِرَسُولِنَا ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)).⁽¹⁸⁾

عرف الدين بأنه نصيحة مع أن تكاليف الدين كبيرة، وليس مقصورة في الصح وحده، لأن النصيحة هي جل الدين، فحضر رسول الله ﷺ كل الدين فيها. كما قال عليه الصلاة والسلام ((الحج عرفة))⁽¹⁹⁾ لعظم عرفة في الحج وهو أعظم ركن في الحج.

قال ابن حجر "هذا الحديث من الأحاديث التي قيل فيها إنما أحد أرباع الدين ... يتحمل أن يحمل على المبالغة؛ أي معظم الدين النصيحة... ويتحمل أن يحمل على ظاهره؛ لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين"⁽²⁰⁾ ويقول الحافظ ابن رجب: "فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في

حديث جibrيل عليه السلام، وسمى ذلك كله ديناً".⁽²¹⁾

وقال الإمام النووي "هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام".⁽²²⁾

ورد حديث بلفظ ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ)) بتمامه من طريق خمسة من الصحابة وهم ثيم ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وشوبان رضي الله عنهم. كما وردت أحاديث أخرى في النصيحة عن عدة من الصحابة وهم: حرير، حذيفة، أنس بن مالك، أبو أمامة، أبو أيوب، أبو زيد رضي الله عنهم وغيرهم. فثبتت من ذلك أن حديث النصيحة قد بلغ مبلغ متواترة".⁽²³⁾ وقال الشيخ صديق حسن خان: "والأحاديث الواردة في مطلق النصيحة للأئمة وغيرهم من المسلمين متواترة".⁽²⁴⁾ والأحاديث الواردة في مطلق النصيحة متواترة وأحق الناس بها الأئمة".⁽²⁵⁾

ثانياً: أهمية النصيحة للولاة والحكام: لا شك أن كل شخص بحاجة إلى نصح إخوانه حتى الولاة ، بل وحتى الأنبياء بحاجة إلى هذا التناصح فقد ذكر الله عزوجل حكاية عن الرجل المؤمن ينصح موسى عليه السلام ((إِنَّ الْمُلَّاً يَأْتِيُونَ بِكَ لِيُقُلُّوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)).⁽²⁶⁾

وتزداد النصيحة أهمية للولاة والحكام لأنهم من أولى الناس بما لعظيم مكانتهم وكبير حقهم ولقوة أثرهم في الرعية ولكثرة الأسباب التي تربين لهم الباطل وتصدمهم عن الحق. فقد قال عليه الصلاة والسلام ((إِنَّ اللَّهَ يَرْضِي لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضِي لَكُمْ أَنْ تَعْبُدوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِجَبَلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْفَرُوا وَأَنْ تَنَاصِحُوا مِنْ وَلَادِ اللَّهِ أَمْرَكُمْ)).⁽²⁷⁾

أما النصيحة للولاة والحكام: فمعناه طاعتهم واتباعهم وتأييدهم، ونصرتهم والجهاد معهم، والقيام بحقوقهم وعدم شق عصا الطاعة عليهم والدعاء لهم.

قال الحافظ ابن رجب: "...وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحبُّ صلاحيهم ورشدتهم وعددهم ، وحبُّ اجتماع الأمة عليهم ، وكرامة افتراق الأمة عليهم ، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل ، والبغضُ من رأى الخروج عليهم، وحبُّ إعزازهم في طاعة الله عز وجل".⁽²⁷⁾

قال ابن الأثير" ومعنى نصيحة الأئمة أن يُطِيعُهم في الحق ولا يَرِي الخروج عليهم إذا حارُوا وَنصيحة عامة المسلمين إرشادُهم إلى مصالحِهم ".⁽²⁸⁾

قال الخطاطي رحمه الله" وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه وتبليغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم بالسيف وتأليف قلوب الناس لطاعتهم والصلة خلفهم والجهاد معهم وأن يدعوه لهم بالصلاح ".⁽²⁹⁾

فثبتت من ذلك أن النصيحة للولاة والحكام، تكون معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند المفروضة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ودفعهم عن الظالم بالي هي أحسن .

المبحث الثالث: حكم النصيحة للولاة والحكام:

أما حكم النصيحة فقد ذكر عن أهل العلم الأقوال التالية:

القول الأول: فقد ذكر بعض أهل العلم أن النصيحة واجبة لأن الله عز وجل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ أَطْيَابًا مِّنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَأَطْبَعْنَا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁽³⁰⁾ فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر وهم الأمراء والعلماء، كما السنة المطهرة تبين أن النصيحة لازمة، وهو قوله عليه الصلاة والسلام ((وإذا استتصح فانصح له))⁽³¹⁾ لأن الكلمة في البداية كلمة حق أي لا بد أن تؤدي لأنها حق. ثانياً "فانصحه": صيغة الأمر التي تدل على الوجوب أصلاً وهي فريضة في المعروف. رجح ابن حجر هذا القول حيث قال: "حكمها الوجوب على قدر الحاجة إذا أمن على نفسه".⁽³²⁾

وقال الحافظ ابن عبد البر: "أما مناصحة ولاة الأمر فلم يختلف العلماء في وجوبها إذا كان السلطان يسمعها ويقبلها".⁽³³⁾

وقال رحمه الله أيضاً: "أما قوله: "تاصحوا من ولاة الله أمركم" فيه إيجاب النصيحة على العامة لولاة الأمر وهم الأئمة والخلفاء وكذلك سائر الأمراء ...".⁽³⁴⁾

كما رجح الإمام ابن حزم هذا القول حيث قال: "النصيحة لكل مسلم فرض".⁽³⁵⁾

القول الثاني: يرى ابن بطال أنها فرض كفاية حيث قال: "والنصيحة فرض يجزي فيه من قام به ويسقط عن الباقيين"⁽³⁶⁾

القول الثالث: ذكر ابن رجب أن النصيحة نافلة حيث قال "وأما النصيحة التي هي نافلة لا فرض، فبدل المجهود بإثمار الله تعالى على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح، حتى لا تكون في الناصح فضلاً عن غيره، لأن الناصح إذا اجتهد لم يؤثر نفسه عليه، وقام بكل ما كان في القيام به سروره ومحبته، فذلك الناصح لربه".⁽³⁷⁾

وقيل إن النصيحة قد تكون فرضًا وقد تكون نافلة، فالنصيحة المفروضة: "هي شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض، وبمانية ما حرم".⁽³⁸⁾

ولا شك أن أولى من هذه الأقوال بالقبول قول من قال إن النصيحة واجبة على كل مسلم، ولا أرى منافية بين هذا، وبين ما نقل عن ابن رجب رحمه الله. لأن النصيحة لا تخرج عن كوكها ، فرض عين أو على الكفاية ، أو مندوية.

الفصل الثاني: منهج الإسلام في مناصحة الولاة والحكام:

المبحث الأول: الأساليب المهمة في النصيحة :

لقد رکز القرآن الكريم على الأسلوب في النصيحة ترکيزاً لطيفاً، فقال الله تعالى لموسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا يُغْنِنَا عَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾⁽³⁹⁾ وإذا نظرنا إلى سيرة المصطفى ﷺ نجد نصيحته عليه الصلاة والسلام تتصف اتصافاً كاماً بهذه الصفة، ونجد مواقف كثيرة من سيرته الطيبة فهذا الصحابي معاوية بن الحكم السلمي أثرت نصيحة الرسول ﷺ في نفسه أثراً بالغاً، لذلك يقول "فوالله ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ﷺ"⁽⁴⁰⁾ وأيضاً قصة الأعرابي الذي بال في المسجد⁽⁴¹⁾.

فللناصح أن يلاحظ الفروق بين النصح والتغيير و هي كالتالي:

- 1- النصيحة تكون في السر، والتغيير يكون في العلن
- 2- المؤمن يقوم بالنصح ، والفااجر يقوم بالتغيير
- 3- غرض الناصح الإصلاح وغرض المعير الإفساد
- 4- الناصح يؤدي حقاً واجباً عليه لأخيه المؤمن: فهو مأجور على نصحه لأخيه، وأما المعير فهو مهتك لحقوق العباد مفرق لجماعتهم، مفسد لدينهم، وبالتالي فهو آخر
- 5- الناصح يخلو من حظ النفس في الغالب، وأما المعير مرض قلبه فهو غير خال منه إذا فلا بد للناصح أن يختار حسن الأسلوب في النصيحة وأن يفرق بين النصيحة والتأنيب، وبين النصيحة والتغيير فعلى الناصح أن يختار عند إسداء النصيحة من أسلوب حميم و سهلة مناسبة لتصل نصيحته إلى قلب المتصوّح فيتأثر بها حتى يكون للنصيحة أكبر أثر وأكثر قبول ، وأسرع استجابة لمن أصدت إليه و أن لا يتضرر الناصح قبولاً وإنما عليه أداء الواجب دون العتاب على عدم الأخذ بها. و أن لا تكون النصيحة على وجه التوبيخ أو التغيير أو يقصد به الاستعلاء.

وهناك الأساليب المهمة لإسداء النصح فلابد للناصح أن يختارها ، ومن هذه الأساليب ما يلي :

1: النصيحة بين التملق والتشهير

النصيحة عبادة ومسئولة، فإذا انقلبت إلى تجريح أو تشهير أو تملق أو ترلف فقد خرج الناصح بدين الله تعالى عن الطريق الصحيح إلى أغراض أخرى شخصية ومطامع دنيوية، فلابد أن تكون النصيحة بين التملق والتشهير.

2: النصيحة بين التدرج وعدمه

الحكمة في النصيحة أن تدرج أثناء عرضها، وأن يبدأ الأهم فالأهم فعلي الناصح أن يبدأ بالمنكر الأكبر أولاً، وبعد فترة من الزمن يفتح معه موضوعاً آخر، وبعد فترة ثالثة يفتح موضوعاً ثالثاً وهكذا.. وهذا لا ينافي عرض الحق على الولاة، لأنّه لا يلغى هذا المنكر أو يهمله تماماً وإنما يؤجله إلى وقته المناسب .

3 : النصيحة بين التلميح والتصريح

إن من الحكمة أن تكون النصيحة بأسلوب التلميح وليس بأسلوب التتصريح، فأسلوب التلميح من الأساليب الناجحة إذا أحسن استخدامه، و كان رسول الله ﷺ يستخدم هذا الأسلوب.

4: النصيحة بين التعميم والتخصيص

النصيحة بين التعميم والتخصيص، هذه من النقاط المهمة وهو قول الرسول ﷺ ((ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا)) بأسلوب التعميم، وأحياناً كان الرسول ﷺ يخصص في النصيحة ويدرك اسم الشخص أو صفاته وبين ويوضح بحسب ما تقتضيه المصلحة.

ولكن مع الأسف الشديد بأن الكثير من المسلمين لا يتزرون بهذه المداية القرآنية للنصيحة فلو نظرنا إلى أسلوب المبشرين بالديانةنصرانية المحرفة حيث وصلوا إلى شعاع عظيم بسبب حسن أسلوبيهم ، لأن أسلوبيهم يعتمد على الدين والعاطفة، حيث يتدرسون إلى المسلمين تدريساً رفيراً بلين ، فهذا هو السبب الرئيسي لإبعاد كثير من الناس عن الإسلام أو دخولهم في النصرانية، فتحن المسلمين وراث السنة المطهرة الأحق باختيار الأسلوب الجميل في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: مراعاة الأسلوب الحسن في مناصحة الحكام:

ولما كانت النصيحة موجهة للولاة والحكام أحاطتها الشريعة الإسلامية بمزيد عناية ورعاية لما لهم من الخصوصية، فعلى الناصل يتلوخى في مناصحة الحكام أجمل العبارات وأسهل الألفاظ وأحسنها موقعاً.. فعن شريح بن عبيد رضي الله عنه قال قال عياض بن غنم لشام بن حكيم ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ ((من أراد أن ينصح لذى سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإن كان قد أدى الذي عليه)).⁽⁴²⁾

ويؤكد هذا ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من امتنانهم لهذا النهج "فقد قبل له أسامة بن زيد رضي الله عنه ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم والله لقد كلامته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه".⁽⁴³⁾

قال الإمام النووي رحمه الله موضحاً قصدأسامة قوله "أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من افتحه يعني المحاجرة بالإنكار على الأمراء في الملة".⁽⁴⁴⁾

قال الشوكاني: "ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصره ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده وينخلو به وينزل له النصيحة ولا يذل سلطان الله".⁽⁴⁵⁾

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله "والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره أن ينصح برفق خفية ما يشرف عليه أحد فإن وافق وإن استتحق عليه رجلاً يقبل منه بخفيه فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهراً إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق واستتحق عليه ولا وافق فيرفع الأمر إلينا خفية"⁽⁴⁶⁾

وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله في النصيحة لأئمة المسلمين "وعلى من رأى منهم ما لا يحل أن يتباهى بهم سراً لا علينا بلطف وعبارة تلقي بالمقاصد، فإن هذا مطلوب في حق كل أحد وبالخصوص ولادة الأمور، فإن تنبههم على هذا الوجه فيه خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص، واحذر أيها الناصل لهم على هذا الوجه المحمود أن تفسد نصيحتك بالتمدح عند الناس فتقول لهم إني نصحتهم وقلت وقلت فإن هذا عنوان الرياء وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أخرى معروفة"⁽⁴⁷⁾

وقال العلامة سماعة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى "ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاية وذكر ذلك على المنابر، لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي

بضر ولا ينفع. ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابية إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجهه إلى الخير."⁽⁴⁸⁾

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "ومن حقوق الرعاة على رعيتهم أن يناصحوهم ويرشدوهم وأن لا يجعلوا من خطفهم إذا أحاطوا سلما لللقدح فيهم ونشر عيوبكم بين الناس فإن ذلك يجب التغافر عنهم وكراهتهم وكراهة ما يقومون به من أعمال وإن كان حقا ويوجب عدم السمع والطاعة لهم"⁽⁴⁹⁾

قال الشيخ صالح الفوزان "لا شك أن الولاة كغيرهم من البشر ليسوا بمعصومين من الخطأ ومناصحتهم واجبة ولكن تناولهم في المجالس وعلى المنابر يعتبر من الغيبة المحرمة، وهو منكر أشد من المنكر الذي يحصل من الولاة لأنها غيبة، ولما يلزم عليه من زرع الفتنة، وتفرق الكلمة، والتاثير على سير الدعوة".⁽⁵⁰⁾

المبحث الثالث: نماذج من نصائح السلف:

لقد حرص علماؤنا على نصح الحكام بما يسدد مسيرة الدولة، ويرى ذمة العلماء، وهذا كان منهجاً لعلمائنا رحمة الله تعالى، ولعل لا يكمل الكلام بدون ذكر أمثلة حية للنصيحة عند سلفنا الصالح ، لأنهم أقرب إلى عصر النبوة، وأسلم ديناً، وأصفى نفوساً، وأرق قلوباً، ولأن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة للإلتفات نحو تاريخ سلفها الصالح لإلقياب والإقتداء والإعتبار، فإنَّ هذه الناحية اى النصيحة من أهم نواحي ذلك التاريخ الوضاء، وقد كان من محاسن علماء الإسلام ومحاته أنْ قاموا بنصيحة الولاة والحكام ؛ وأنَّ لهم ما أرادوه من إبلاغ الحق، وإقامة الحجة في وضوح ونضاعة، وظهور يليق بمن هذا الحق الذي يدعون إليه ، وفي هذا يقول الأستاذ عبد العزيز البدرى: " وكانت النصيحة وانتصافهم للحاكم في مقدمة المنتصرين؛ لأن نصيحتهم فيها الخبر كل الخبر لهم، ولمن يتولون أمرهم".⁽⁵¹⁾

وهذه بعض نماذج من نصح هؤلاء يحسن أن يطلع عليها الجيل المتوجب، عسى أن يجد فيها قيساً يضيفه إلى المشاعل التي تركها سلف أمجاد؛ ليستير بها من وفق إلى الرشاد، فانتهيج سبيل الفلاح وطريق النجاح. وقد كان من أولئك الناصحين أبو حازم سلمة بن دينار فهو ينصح سليمان بن عبد الملك.

النصيحة الأولى: نصيحة أبو حازم سليمان بن عبد الملك:

لما حج سليمان بن عبد الملك استحضر أبو حازم، فقال له: تكلم يا أبو حازم، قال: فيهِ أتكلّم؟ قال في الخروج من هذا الأمر، قال: يسيراً إنْ أنت فعلته، قال: وما ذلك، قال: لا تأخذ الأشياء إلا بحقها ولا تضعها إلا في أهلها، قال: ومن يقوى على ذلك؟ قال: من قلدَ الله من الأمر ما قلَّدَك، قال: عُظُّني يا أبو حازم؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنَّ هذا الأمر لم يصل إليك إلا بموت من كان قبلك، وهو خارج منك بمثل ما صار إليك، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ترثِّ ربك في عظمته عن أن يراك حيثماك، أو يفقدك حيث أمرك.⁽⁵²⁾

النصيحة الثانية: نصيحة الإمام مالك بن أنس خليفة هارون الرشيد :

فقد كتب إمام دار المحررة الإمام مالك بن أنس رحمة الله، إلى الخليفة هارون الرشيد رسالة ينصحه فيها، ويقول: أما بعد، فإني كتبت إليك بكتاب لم ألك فيه رشداً، ولم أدخل فيه نصحاً، تحميدها الله وأدباً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدبره بعقلك، وردد فيه بصرك، وأرعره سمعك، ثم أعقله قلبك، وأحضر فهمك، ولا تعين عنه ذهنك، فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله في الآخرة، اذكر نفسك في غمرات الموت وكربله ما هو نازل بك منه، وما أنت بعوقف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه، ثم الحساب، ثم الخلود بعد الحساب، ثم قال له: لا تأمن على

شيء من أمرك من لا يخاف الله، فإنه بلني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ((شاور في أمرك الذين يخالفون الله)) أحذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك، فإنه بلغني عن النبي ﷺ إنه قال "ما من نبي ولا خليفة إلا ولهم بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف، وتبهاه عن المنكر، وبطانة لا تأله خبلاً".⁽⁵³⁾

دلالات في نصيحة الإمام مالك:

والناظر في هذه فقرات من نصيحة الإمام مالك لمارون الرشيد، يجد أن ثمة دلالات يمكن أن تلمح في هذه النصيحة، ومن هذه الدلالات نذكر ما يلي:

1. أن النصيحة صدرت من عالم ورع وتقى
2. الحرص الشديد في أداء النصيحة والإخلاص فيها وهي خرجت من قلب صادق
3. كانت النصيحة المسداة هنا شاملة تجوي كل معاني الإيمان، والدعوة إلى التمسك بأحكام الإسلام وحدوده وآدابه
4. قوبلت هذه النصيحة بالقبول من المتصوّر ، وهذه ثمرة النصيحة المرجوة منه
5. نصيحة الحاكم أعمق أثرًا، وأشد خطراً من نصيحة أفراد الرعية
6. جوانب النصح للحاكم عند مالك متعددة

نصيحة الإمام أبو حامد الغزالي فخر الملك:

لقد نصح الإمام الغزالي أهل زمانه عامة وخاصة، ولقد كان من نصيحة رسالته بعث بها إلى فخر الملك وهو أحد حكام عصره، فكتب فيها: "إعلم أن هذه المدينة (مدينة طوس) خراباً بسبب المحاعات والظلم، ولما بلغ الناس توجهك من أسفاريين ودامغانين حافوا، وبدأ الفلاحون يبيعون الحبوب، واعتذر الظالمون إلى المظلومين واستسمحونهم، لما كانوا يتوقعون من إنصاف منك، واستطلاع للأحوال، ونشاط في الإصلاح. أما وقد وصلت إلى طوس، ولم ير الناس شيئاً، فقد زال المخوف، وعاد الفلاحون والخازون إلى ما كانوا عليه من العلاء الفاحش والاحتقار، وتشجيع الظالمون، وكل من يخبرك من أخبار هذا البلد بخلاف ذلك، فاعلم أنه عدو دينك".⁽⁵⁴⁾

دلالات في نصيحة الإمام الغزالي:

تتجلى في نصيحة الإمام الغزالي دلالات كثيرة ومنها:

1. لم يقتصر في نصائح الحكام على المخاطبة، بل نصحهم أيضاً بإرسال الرسائل إليهم
2. الحرص على اعطاء الصورة الحقيقة للبلاد إلى الحاكم دون تقصير أو مداهنة
3. الحرقة على أحوال الناس في زمانه من شدة المعаш، إلى مظالم ترى
4. القوة في الخطاب، وقد وقعت موقعها، وجاءت في موعدها
5. الإنذار ونتائج عند عدم قبول النصيحة

الفصل الثالث: حقوق الولاة والحكام وواجباتها في الشرع:

المبحث الأول: أهمية الولاة والحكام:

أن أعظم الحقوق وأشدتها فائدة في المجتمع بعد حق الله تعالى ما افترضه الله بين الخلق هو حقوق الولاة والحكام على الشعب وحقوقهم عليها ، وصلاح كل واحد منها متوقف على صلاح الآخر، توقيتاً تكاملاً، والأجل

أهمية على أن صلاح المجتمع بصلاح الولاية وفسادها يفسد المجتمع فقد ركزت الشريعة الإسلامية بإعطاء كلا الفريقين الشعب والولاية حقوقهم وهذه الحقوق ليس من باب المندوب بل هو فريضة أوجبها الله على الطرفين وحكم بها لكل واحد منها نحو الآخر وجعل هذه الحقوق مجمعاً وقاعدة أساسية لوحدتهم وتماسكهم وتعاضدهم لأن اجتماع القيادة مع الشعب في وحدة الطريق والمدفوع يجعل الدولة في أعظم مرتب القوة والمنعة وهذا يحصل تعاون وتعاضد ومحبة بين الولاية والشعب وبذلك يتأس الأعداء وتقطع مطامعهم لأن مطامعهم تتزايد عندما يحصل اختلاف بين الولاية وشعبه، و تستقر البلاد وتحصل الوحدة والألفة بين الأمة، و بسبب تماسكهم مع شعبها تخشى الأمم المتحضرة و تهاب الدول الكبرى صاحبة القوة ولا يجرؤ عليها عدو أو يطبع فيها طامع.

ولتحقيق الصلاح العام بين المجتمع شعبها وحكامها لا بد أن يكون تعاون واتفاق فيما بينهم ، كما يجب أن يكون هناك دستور يحكم الجميع من الولاية والشعب، ويسعى كلهم لتطبيقه، ولا يمكن أن تصلح الشعوب جميعها إلا بصلاح الولاية لأن الناس كما قيل على دين ملوكهم فإذا فسدوا انتقل الفساد إلى شعوبهم بحكم أن الولاية قدوة وأسوة تسير الشعوب حلقه فيما يقول ويعمل به.

والآحاديث والآثار المؤثرة تؤكد ما للقيادة السياسية من دور كبير بل أكبر الأدوار في صلاح الأمة وفسادها، وما فسدة أمر الناس إلا بفساد هذين الصنفين، فأعقل الولاية و الحكام من وقف موقفاً سليماً في الحكم واستعمل السياسة الحكيمية ولئلا مطالب و حقوق شعبه وتوفير جميع حقوقهم وأقام العدل والمساواة بين أفراد المجتمع وعدم التمييز فيما بينهم لاشك أن هذه الأمور من أهم أسباب بقاء الدولة وقوتها واستمرارها ، فعززت الدولة وأصبحت قوية لاتفاق الحاكم والحكومة واحتياج الجميع نحو تحقيق عزهم وكرامتهم وبذلك الأعداء من الطمع فيها والتليل منها ولم يبق لها فيها رغبة بعد قدرتها عليها وبذلك ت نحو نحو السعادة والرفاهية وتبسيط ظلها في ربوع الأمان الداخلي والأمان الخارجي وأي دولة تأم من هذين الجانبيين تعيش أحلى حضارتها وأشدتها أزدهاراً وعزراً.

المبحث الثاني: حقوق الولاية:

لقد أعطى الإسلام الولاية حقوقاً كثيرةً لا يستطيع القيام بأعماله في تدبير شئون دولته دون إعطائه هذه الحقوق حصرها بعض أهل العلم كالماوردي وأبي يعلى في حقين هما النصرة و الطاعة و بعضهم أوصلها إلى عشرة حقوق مثل ابن الأزرق.⁽⁵⁵⁾

لا شك أن هذه الحقوق المذكورة بعضها متداخلة مع البعض يمكن أن نحصرها في أمور تالية وهي الطاعة والإنتياد، والنصرة والإخلاص، والوفاء بالبيعة والتوقير والاحترام ، والتعزير والنصرة، والصبر وعدم الخروج.

1 : الطاعة والإنتياد: إن الطاعة والإنتياد للولاية سبب كبير من أسباب الاستقرار السياسي وعامل عظيم من عوامل النجاح في تنظيم أمور الدولة وشؤونها ، فالطاعة والإنتياد لولي الأمر واجبة شرعاً فيما لا معصية فيه لأنه لا تستقيم الحياة بدونها فهي مشروط ومقيد بطاعة الله وبطاعة رسوله ﷺ. فلا يمكن تحقيق مقاصد الشريعة الدينية و الدينية إلا بطاعة الولاية و ما ذلك إلا لعظيم هذا الحق و منزلته الرفيعة في الشريعة الإسلامية كما كان العلماء السابقين الكرام يبنوا هذا الحق العظيم.

2 : النصح والإخلاص: من حقوق الولاية على الرعية نصحهم وإخلاصهم له سرا وعلنا منشطا ومكرها يسرا وعسرا وإنما النصح وإظهار الإخلاص للولاية والحكام ويؤيدهم على اختيار البطانة الصالحة المخلصة وينجذبهم من ولجمة السوء.

3 : الوفاء بالبيعة: من الحقوق التي يجب على الرعية تجاه الولاية الوفاء بالبيعة وحرمة نقضها ونكثها وقد دلت النصوص من الكتاب والسنّة على وجوب الوفاء بالبيعة، كقوله تعالى ﴿بِاَئِيْهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اَوْفُوا بِالْعُهُودِ﴾⁽⁵⁶⁾ وقوله ﴿مِنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حَاجَةَ لَهُ وَمِنْ مَاتَ وَلِيْسَ فِي عَنْقِهِ بِعَهْمَاتٍ مِيْتَةً جَاهِلَةً﴾⁽⁵⁷⁾.

4 : التوقير والاحترام: إن الشارع الحكيم قد أوجبت على المسلمين احترام وتوقير فئات من المجتمع وعلى رأسهم النساء فاكدست على احترامهن وتوقيرهن ونفت عن سبهم وانتقادهم والحط من أقدارهم فحرم الإمام وقوته في إدارة شؤون دولته مع ما أوجبه الشارع من احترام وتوقير يمنع امتهان الناس له وهذا ما حرصت عليه الشريعة لتحقيق مقاصدها.

5 : التغزير والنصرة: من حقوق الولاية على الرعية نصرة الولاية وإعانتهم على إقامة الدين وتنفيذ الحدود وأخذ الحقوق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك تنفيذ كافة آوامرهم المشروعة واعطاؤهم حقهم من الرعامة وفي الجهاد والدفاع عن المسلمين وبآلامهم فالولاية لا تستطيع القيام بهذه الواجبات من غير قيام الرعية بحق الولاية والنصرة.

6: الصبر وعدم الخروج:

يكاد أن لا تخلو أعمال الولاية من الظلم والتعدى على الرعية إلا من عصمه الله تعالى فحينئذ يجب على الرعية التزين بالصبر وعدم الخروج عليهم وقد أدرك النبي ﷺ هذه الحقيقة وعلم أن الناس سيقابلون ظلم الولاية والرد فأمرهم بالصبر عليهم.

المبحث الثالث: واجباتولي الأمر:

لقد وضع الشريعة الإسلامية القواعد العامة التي تبين واجباتولي الأمر في إقامة الدين ونفاذ الشريعة وسياسة الناس به وهذه الواجبات منها ما هو واجب الله عزوجل ورسوله والجماعة المسلمين.

ومن تلك الواجبات التي جمعها الإمام الماوردي حيث قال والذي يلزم من الأمور العامة عشرة أشياء⁽⁵⁸⁾ يمكن لنا أن نخلصها فيما يلي:

1: حفظ الدين على اصوله المستقرة

أي الحافظة على التوحيد الحالص وأفراد العبادة لله عزوجل وإقامة شعائر الإسلام ومن حفظ الدين نشره والدعوة إليه ورد أهل الأهواء والبدع من نشر بدعهم وزيفهم وبيان الصواب لهم.

2: تنفيذ الأحكام بين المتشا جرين وقطع الخصام بين المتنازعين

أي يجب علمه نصب القضاء لقطع الخصومة بين الناس وكف الظلم عن المظلوم حتى يعم العدل لأن العدل من أسباب استقامة أحوال الرعية وثبات الحكومة ودوامها ويدخل في ذلك التسوية بينهم في الحقوق والواجبات العامة.

3: حماية البلاد والذب عن الحرمين ليتصرف الناس في العايش.

فيجب على الولاية توفير الأمن والاستقرار للمجتمع حتى يأمن الناس على دينهم وأحوالهم وأعراضهم وكذلك المحافظة على الأمن والنظام العامة في الدولة وتأمين سلامة الطريق للتنقل بين المدن القرى.

4: إقامة الحدود لتصان محام الله تعالى عن الإنتهاك وتحفظ حقوق عباده من اتلاف و استهلاك ومن المهام الولاة اقامة الحدود و تفيذها بين الرعية و عدم التعاون في ذلك صيانة لحرام الله عن التجري عليها أو الحقوق العباد عن التخطي إليها

5: تحصين التغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظفر الأعداء فيحجب الولاة حماية البلاد والدفاع عنها وذلك باعداد العدة المانعة والقوة الدافعة من صناعة السلاح وتدريب الجنود حتى لا يستطيع الأعداء التسلل من المسلمين أو معاهديهم.

6: جهاد من عائد الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة فعلى الولاة أن يقوم بإزالة كل ما يعيق نشر الإسلام ولو أدى إلى القتال و الجهاد لإزالة العقبات التي تمنع من نشر الدعوة الإسلامية ولكن هذا مشروط بوجود قوة للمسلمين ووجود عدوان على دعاة الإسلام أو بلاده.

7: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واحتها فعلى الولاة جباية الأموال التي أمر الشرع⁽⁵⁹⁾ وصرف تلك الأموال على مستحقها وفي تدبير شئون الدولة والخدمات للأفراد والرواتب وما إلى ذلك.

8: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تفتيت. فمن المهام المنوطة بالولاة تقدير العطايا والحقوق الموجودة في بيت المال مثل رواتب الجنود والمجاهدين والموظفين بالدولة وإعانته الأسر المحتاجة أو الفقيرة فيصرف لهم من بيت المال من غير تبذير أو بخل.

9: استكمال الأمانة وتقليل النصحاء فيما يفرض عليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال يجب على الولاة أن يعين من يقوم بهذه الإمامة من ولاته و وزراء لأنه من المستحبيل أن يقوم الولاة بجميع هذه الأعمال بنفسه ولكن عليه أن يختار الأصلح والأنصب من الناس لتعيينه بهذا المهام.

10: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفيف الأحوال لينهض سياسة الأمة وحراسة المسلمة ومن المهام تحفه وللي الأمر ايضا هو أن يقوم بالإشراف المباشر على أعمال الدولة ويطلع على أحوال الرعية مع أنه يشرع له إتخاذ الولاة والوزراء ولكن عليه أن لا يتكل عليهم تماما لأنه هو المسؤول أمام الله عزوجل يجب عليه أن يتفقد الرعية.

الفصل الرابع: الشبهات التي يعرضها أهل الأهواء والرد عليها:

المبحث الأول: الشبهة الأولى: وجوب الأعلام في إنكار المنكر للولاة:

والله سبحانه وتعالى قد أوجب في كثير من الآيات في كتابه⁽⁶⁰⁾ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأصل فيه هو العلنية لا السرية وهو ما يتوافق مع النصوص الشرعية.

الرد عليها:

لاشك أن الإنكار على الولاة والحاكم ومناصحته من أعظم واجبات أهل العلم لأن الأمر المعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين، وقد كان موقف أهل السنة من المنكرات الصادرة من الولاة و الحكام وسطاً ، وهم يخالفون طريقة المخوارج والمعتزلة والرافضة الذين يرون أن الإنكار على الولاة يكون حتى في المجالس العامة وأمام الناس وفي خطب المنابر، وكلا الطائفتين معزل عن الحق، وينأى عن صريح الكتاب والسنة، فذهب أهل السنة إلى وجوب

إنكار المنكر، لكن بالضوابط الشرعية التي جاءت بها السنة، وكان عليها السلف الصالح من هذه الأمة. ومن أهم ذلك وأعظمه قدرًا أن ينصح ولاة الأمر سرًا فيما صدر عنهم من منكرات، ولا يكون ذلك على رؤوس المنابر وفي مجتمع الناس، لما ينجم عن ذلك غالباً من تأليب العامة، وإثارة الرعاع. فهم يرون أن مناصحة الحاكم تكون على طريقة تالية:

فإن كان المنكر الخاص بالحاكم في خاصة نفسه وأهله ولم يظهر للعامة فهذا ينكر فيه على الولاية سرًا. وإن كان المنكر العام الذي يتعلق بأفعال الناس كبنوك الربا ونحوها فهذا ينصح سرًا وأما العامة فيجذرون من هذا المنكر وينبهون إلى تحريم الربا مثلاً، دون تعرض للحاكم الذي تمت مناصحته سرًا، إذ لا فائدة شرعية ولا مصلحة دينية من ذلك والمقصود من الإنكار إزالة المنكر. وهذه الطريقة المتبعه قديمًا وحديثًا ومن تأمل النصوص والقصص الواردة عن علماء السلف يجدوها لا تخرج عن هذا النطاق مطلقاً⁽⁶¹⁾

المبحث الثاني: الشهادة الثانية: كيف يسكت على أخطاء الحكام وينكلم على أخطاء العلماء:

الرد عليها:

في الحقيقة إن الرد عليه من الأهمية بمكان لأنها تجلي شبهًا كثيرة وتزيل إشكالات كبيرة، فالإصل في المكلفين أئم خطاءون، سواء كانوا العامة والعلماء أو الولاية وخير الخطائين التوابون، فالخطأ صادر من الولاية لامحالة ومن أصول هذا الدين العظيم النصيحة فهي تقتضي تبیین الخطأ والرد على المخطىء ، ويتختلف أسلوب النصيحة على حسب مكان الشخص المنصوح فالنصيحة للحكام تختلف في الأسلوب عن النصيحة للعلماء ، كذلك النصيحة للعلماء تختلف في أسلوبها عن النصيحة لل العامة، لأن الإظهار والتشهير لأخطاء الولاية خلاف السنة وخلاف منهج السلف الصالح، أما أخطاء العلماء فتجوز لأن السنة جاءت بذلك، وجرى عليه عمل السلف وعلينا أن نقتدي ولا نبتدي ونبغ ولا نبتدع، وأن خطأ العالم يناسب إلى الدين في حين أن خطأ الحاكم لا يناسب إلى الدين، فالأول ضرره أعظم من الثاني . فقد أمرت الشريعة بمناصحة الحكام سرًا، وعدم إظهار أخطائهم والتحدث بما في المجالس العامة أو الخاصة ومقصد الشريعة في ذلك الحفاظ على هيبة الولاية وحرمتهم ، إذا فالطريقة المشروعة هي مناصحتهم في السر. فهكذا جاءت السنة باحترام السلطان وتوقيه ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يقدرون الأمير ويحترمونه حتى لقد صار ذلك مضرب المثل عندهم .

قال ابن جماعة : "يعرف له عظيم حقه ، وما يجب من تعظيم قدره ، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام ، وما جعل الله تعالى له من الإعظام ، ولذلك كان العلماء والأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم ويلبون دعوئهم مع زدهم وورعهم ، وعدم الطمع فيما لديهم ".⁽⁶²⁾

فالنصيحة في المجالس وفي المحافل تتنافي ما أمرت به الشريعة من إكرام الولاية واحترامهم بل فيها استخفاف وانتهك حرمتهم وإسقاط هيبتهم وزرع الفتنة والفساد، فالواجب إيصال النصيحة لهم بالطرق مشروعة، لا بالتشهير والإشاعة.

ايضا قوله: "كيف يسكت على أخطاء الحكام "فقد أحطا فيه، لا يقول به أحد ، لأن السكوت على أخطاء الحكام لا يجوز ، لكن الأمر بالنسبة للحاكم له وضع خاص فالعلماء وأصحاب الرأي ينصحونهم سرًا.

المبحث الثالث: الشبهة الثالثة: أن النصيحة تدخل في الحريات الشخصية:

يقال: إن النصيحة تدخل في الحريات الشخصية فلا يجوز لأحد أن يدخل فيها ، فللمراء يفعل ما يشاء فهو حر في حياته وليس لأحد أن يأمر بشيء أو ينهى عنه.

الرد عليها :

لا شك إن الحرية الشخصية مكفولة في الإسلام، يعني أنه يريد من المسلم أن يكون إنساناً حراً مكفول الحرية، لا يستطيع أن يعتدي عليه، ولا يسمح لأحد أن ينطلق الناس في حرياتهم الشخصية فيتجاوزون الحدود، ويقعون في المحرمات، ويعصون الله تعالى، وينتهك كل واحد حرمات الآخر، ويتلاءم كل شخص على الآخر، وتقدم البيوت بهذه المكرات بحججة الحرية الشخصية إذا كان شخص يفعل المكر، وقال: أنا حر في أفعاله، يقال له هذه ليست حرية وإنما هي عبودية للأهواء، أي هذا يتبع هواه، وصار عبداً لهواه ولم يكن حرّاً.

المبحث الرابع : روایات وآثار يستدل بها مجوزوا الخروج على الولاء:

هناك بعض الروایات والآثار التي يستدل بها مجوزوا الخروج على الحكم ولكن مع الأسف هذه الروایات والآثار لا توجد في كتب الأحاديث والتاريخ بل وكتب المتقدمين والعلماء المحققين وإنما تجدها في كتب المؤخرين المعاصرين الذين يدعون الناس إلى المظاهرات والثورات والإنتقلابات ويخذلهم على الخروج على الحكم، بل بعضها لا توجد إلا في كتبهم نسأله العافية .

أولاً: الروایات

الرواية الأولى: ((أطیعوهم ما أطاعوا الله فیکم فإن عصوا الله فلا طاعة عليکم عليهم))⁽⁶³⁾ وهذه الروایة ليس لها إسناد بهذا اللفظ وإنما ذكر في كتاب مسند الربيع الإباضي من غير إسناد هذا المسند الذي يعدل صحيح البخاري عند الإباضية الخوارج .

الرواية الثانية: حدثنا جعفر بن أحمد بن عاصم الانطاكي قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا إسماعيل بن عياش قال حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((إنه كائن بعدي أمراء يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليکم ما تعرفون فلا طاعة لهم عليکم فلا تقبلوا إلا برأيکم)).⁽⁶⁴⁾

أما اللفظ "فلا تقبلوا إلا برأيکم" فلا يحفظ إلا في هذا الحديث وقد روي في هذا المعنى بخلاف هذا اللفظ، هذا إسناد ضعيف لأن إسماعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة⁽⁶⁵⁾ وهذه ليست من رواية الشاميين عنه، وعبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة قال أبو حاتم "يروى عن أهل الكوفة وأهل المدينة ولم يرو عنه غير إسماعيل بن عياش، وهو عندي عجيب ضعيف الحديث منكر الحديث، يكتب حدثه، يروى احاديث مناكير، ويروى احاديث حسانا"⁽⁶⁶⁾ وشهر بن حوشب ضعيف⁽⁶⁷⁾ فهذه ثلاثة علل في هذا الحديث فالحديث ضعيف لا يستدل به.

ثانياً: الآثار:

1: أثر خطبة أبي بكر: عن عمر عن رجل عن الحسن أن أبا بكر الصديق خطب فقال أما والله ما أنا بخیركم ولقد كنت لقامي هذا كارها ولوددت لو أن فيکم من يكتفي فتظنون أن أعمل فيکم سنة رسول الله ﷺ إذا لا أقوم لها إن رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحى وكان معه ملك وإن لي شيطانا يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني لا أوثر في اشعاركم

ولا أبشاركم إلا فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوموني قال الحسن خطبة والله ما خطب بها بعده⁽⁶⁸⁾. هذا إسناد ضعيف لأنقطعه وجهة الرجل الذي روى عنه عمر وآخرجه القاسم ابن سلام بإسناده لكن هذا إسناد أيضاً ضعيف لأن علي بن هاشم صدوق في حفظه شيء قال ابن حبان يروي المناكير عن المشاهير⁽⁶⁹⁾ ولأنقطعه بين عروة وأبي بكر.

2: أثر عن عمر: قيل أن عمر قام يخطب فقال: "أيها الناس من رأى منكم في اعوجاجاً فليقومه، فقام له رجل وقال: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا، فقال عمر الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيف".⁽⁷⁰⁾

3: أثر عن حذيفة: حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن همام عن حذيفة قال دخلت على عمر وهو قاعد على جذع في داره وهو يحدث نفسه فلديوت منه، فقلت ما الذي أهلك يا أمير المؤمنين، فقال هكذا بيده وأبشار بما، قال قلت ما الذي يهلك والله لو رأينا منك أمراً ننكره لقومناك، قال الله الذي لا إله إلا هو لو رأيتم مني أمراً تنكرون له لقومتموه، فقلت الله الذي لا إله إلا هو، لو رأينا منك أمراً ننكره لقومناك، قال ففرح بذلك فرحاً شديداً، وقال الحمد لله الذي جعل فيكم أصحاب محمد من الذي إذا رأى مني أمراً ينكره قومي.⁽⁷¹⁾

رجاله كلهم ثقات غير يحيى بن عيسى ، قال ابن معين عنه ضعيف وفي رواية ليس بشئ . وقال النسائي ليس بالقوي وقال ابن عدي عامدة روایاته مما لا يتابع عليه وقال الإمام أحمد ما أقرب حدبيه ، وذكره ابن حبان والمعجمي في الثقات ولكن الرجل جرحه مفسر وقال ابن حبان وكان من سوء حفظه وكثير ومه حتى جعل يخالف الآثار فيما يروى عن الثقات فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به.⁽⁷²⁾ فإذا فالاثر ضعيف ، ولو صح الأثر لما كان فيه حجة لقولهم الباطل لأن التقويم يكون بالنصر لهم سراً كما هو معلوم في منهج السلف الصالحين رحمة الله.

النتائج والتوصيات والمقترنات:

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات، أَحْمَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، عَلَى كِتَابَةِ هَذَا الْبَحْثِ الْمُتَوَاضِعِ بِعِنْدِنَا "الأسلوب الشرعي في نصيحة الولاية والحكام" فله الحمد أولاً وآخراً، وفيما يلي أشير إلى أهم النتائج والتوصيات والمقترنات التي توصلت إليها من خلال دراسة هذا الموضوع.

أولاً : النتائج:

1- النصيحة في الدين لها مكانة عظيمة، ومتلتها رفيعة، وهي وأصل من أصوله و دعامة من دعامتات الإسلام ، وتزداد النصيحة أهمية للولاية والحكام لأنهم من أولى الناس بما لعظيم مكانتهم وكبير حقهم ولقرة أثرهم في الرعية.

2- إن المقصود بولي الأمر في الآية هما الآمراء والعلماء والإمام هو الذي اجتمع المسلمين واصبح له قدرة وسلطان يفعل بما مقصود الولاية فهو ولي أمرها شرعاً.

3- فالولاية أمانة يجب أداؤها على الوجه المطلوب كما قال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه أنها أمانة و أنها يوم القيمة حرثي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها.

4- ولاية أمر المسلمين أمر ذو شأن عظيم، وهو حق وواجب، وأمانة ومسؤولية من أخذها بحق وآداتها بأخلاص فهو محمود عند الناس ومحظوظ عند الله تعالى، ومن ارتكب بالخيانة فيها فهو مجرم أثيم.

-5 تعب على الرعية مداومة النصيحة لولي أمرها بالطريقة الشرعية من نصحه سرا، بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والدعاء له بالتوفيق.

-6 وجود العلاقة بين الحكم والمحكوم على أساس النصح والإخلاص أمر مطلوب لإصلاح أمور العباد والبلاد.

-7 إن الشرع الإسلامي الحكيم قد قرر لولي الأمر حققا ي يجب على الرعية أداؤها، ومن أهمها: وهي الطاعة والإنشقاق، والنصح والإخلاص، والوفاء بالبيعة، والتوقير والاحترام، والتغزير والنصرة، والصبر وعدم الخروج. كما على ولي الأمر واجبات ومسؤوليات يجب عليه القيام بها ليحصل التوازن والاعتدال بين الراعي والرعية. وهم -حكاماً ومحكومين - بحاجة ماسة في أداء الحقوق والواجبات الالزمة عليهم قبل أن يطلبوا مالهم.

ثانياً : التوصيات والمقتراحات:

1 - فعلينا الجميع أن ننير على الناس أهمية النصيحة وضرورتها للولاة والحكام.

2 - يجب على المسلمين عموماً وعلى علمائهم خصوصاً بأخذ الأساليب والطرق المناسبة لنصيحة الولاة والحكام.

3 - فعلى الناصحين أن يختاروا عند إسداء النصيحة من أسلوب جميل ووسيلة مناسبة حتى يكون للنصيحة أكبر أثر وأكثر قبول عند الولاية.

4 - علينا أن نتعرف على نماذج من تطبيقات النصيحة للولاية قديماً وحديثاً وتحليلها وتقديرها للاستفادة منها، لأن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة للإلتقاء نحو تاريخ سلفها الصالح للإقتباس والإقتداء والإعتبار.

5 - المساهمة في نشر ثقافة النصيحة القائمة على محبة الخير للولاة والحكام والحرص على صلاح حاكم الدينية والدنيوية.

6 - على ولاة الأمور وعلى علماء الأمة أن يقتدوا بسيرة المصطفى ﷺ الخلفاء الراشدين وعلماء السلف الصالح في أداء ما عليهم من الواجبات تجاه الأمة.

7 - ضرورة جمع كلمة ولاة الأمور على كف الظلم ومنع الظالم من الظلم وإعانته المظلوم وإغاثة الملهوف في كل بلد من البلدان الإسلامية بأدرا فريضة النصيحة .

8 - ضرورة أداء فريضة النصيحة لإزالة الفجوة بين حكام المسلمين ورعايتهم والتذكير لواجباتهم ومسؤولياتهم تجاه الأمة.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يجعلنا من يستمع القول ويتبع أحسنه وأن يهدينا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه وأن يقينا شرور أنفسنا وشرور عباده وأن يحفظ بلاد المسلمين من المكروه وكيد عدونا وأن يحفظ ولاة أمورنا من كل سوء ومكروه . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المواهش

1	سورة النساء، الآية : 59.
2	مسلم ،ابو الحسين مسلم بن حجاج ، صحيح مسلم ص: 1 / 74 رقم الحديث (55).
3	ابن منظور،ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ،ص: 4439/6 ،دار المعارف 1119،القاهرة
4	سورة الأعراف ، الآية : 62
5	ابن الفارس، مقاييس اللغة ،ص: 435/4 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
6	ابن الأثير، ابوسعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث ، ص: 63/5 ،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان
7	الخطاطي ، معلم السنن للإمام: ص: 125/4 مطبعة العلمية بجلب
8	الأصفهاني ، الإمام الراغب، المفردات في غريب القرآن ، ص: 2/ 639 ،مكتبة تزار مصطفى الباز
9	ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم ص : 243/1 بتحقيق ماهر ياسين فحل ، مصدر الكتاب موقع صيد الفوائد
10	سورات التحرير ، الآية:8.
11	العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر ،فتح الباري ، ص:1/167 ،دار المعرفة، بيروت لبنان
12	النووى ،شرح صحيح مسلم ، ص:2/ 37، المطبعة المصرية بالأزهر،الكتبة الأولى 1347هـ
13	البخارى، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح ، ص: 1/36 رقم الحديث (57) ، المطبعة السلفية 1400هـ
14	ابن حجر، فتح الباري ، ص: 1/ 140
15	ابوداؤد، سليمان بن أشعث السجستاني، سنن ابوداود ، ص : 245/4 رقم الحديث (4405) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الرسالة ص: 58 حديث صحيح. وصححه أيضًا الألبان بنظر الإرواء، ص: 4/2
16	هو جزء من الحديث السابق
17	البغدادي ،خطيب ،الفقيه والمتفقه ، ص: 2/ 69 ، دار ابن الجوزي السعودية
18	مسلم، صحيح مسلم ، ص: 1/ 74 رقم الحديث (55)
19	النسائي،ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب، سنن النسائي ، ص: 2/ 45 رقم الحديث (3016) وصححه الألبان
20	العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر ،فتح الباري ، ص: 1/138
21	ابن رجب الحنبلي ،جامع العلوم والحكم ، ص: 1/ 223
22	النووى ، شرح صحيح مسلم ، ص: 2/ 37
23	الكتابي ،نظم للمنثور من الحديث المتوارد ، ص: 160 ، دار الكتب السلفية
24	الشيخ صديق حسن خان، العبرة بما جاء في الغزو والشهادة واظهرة ،ص:34، دار الكتب العلمية بيروت
25	سورة القصص ، الآية:20
26	صحيح مسلم ص: 1 / 385 رقم الحديث (1715)
27	ابن رجب الحنبلي ،جامع العلوم والحكم ،ص : .223/ 1
28	ابن الأثير ، النهاية في الغريب الحديث ، ص: 63/5:
29	الإمام الخطاطي ، معلم السنن: ص: 125/4
30	سورة النساء، الآية : 59.
31	مسلم ، صحيح مسلم ص: 1 / 385 رقم الحديث (1715)
32	الصديقى،محمد بن علان، دليل الفالحين ص: 67 ، جمعية النشر والتأليف الأزهرية
33	ابن عبد البر ،الاستذكار ، ص: 8 / 579 ، بتحقيق عبد المعطي أمين قلعجي
34	ابن عبد البر ،التمهيد ، ص : 21 / 284 ، بتحقيق مصطفى بن احمد وغيرهم
35	ابن حزم ، رسالة الجامع ، ص: 2/ 56

النبوى، شرح صحيح مسلم ، ص : 39/2.	36
المصدر السابق	37
ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم ، ص: 243/1	38
سورة طه ، الآية: 44	39
مسلم ، صحيح مسلم ص: 1/381 رقم الحديث (537)	40
مسلم ، صحيح مسلم ص: 1/236 رقم الحديث (285)	41
السنة لإبن أبي عاصم ، ص: 507/2 رقم الحديث (1130) بتحقيق باسم بن فيصل الجوابرة ، دار الصميدي	42
مسلم ، صحيح مسلم ص: 4/2290 رقم الحديث (2984)	43
النبوى ، شرح صحيح مسلم ، ص: (37/2)	44
الشوكان، محمد بن علي، المسيل للحرار ، ص: 4/267، بتحقيق محمود ابراهيم زايد	45
إبن غنام،العلامة، تاريخ بغداد ، ص: 87، بتحقيق ناصر الدين الأسد ، دار الشروق	46
ابن سعدی ، العلامة، الرياض الناضرة ، ص: 67	47
الشيخ سعد بن ناصر الشثري ، حقوق الراعي والرعية ولرور جماعة المسلمين ، ص: 10	48
الشيخ سعد بن ناصر الشثري ، حقوق الراعي والرعية ص: 11	49
الشيخ محمد القحطان ، كتاب فتاوى الأئمة في النوازل المذهبة ، ص: 122	50
عبد العزيز البكري، الإسلام بين العلماء والحكام ، ص: 106 ، المكتبة العلمية المدينة المنورة	51
أبو بكر الططوشى ، سراج الملوك ، ص: 1/32 ، بتحقيق حغير الببائى	52
البخاري ، صحيح البخاري ، ص: 2/66 رقم الحديث (7198)	53
الندوى،ابو الحسن، رجال الفكر والدعوة ، ص: 238 نفلاً عن رسائل الغزالى بالفارسية	54
ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك،ص:39/2 ، بتحقيق علي سامي النشار منشورات وزارة الإعلام بغداد 1977م.	55
سورة المائدة ، الآية : 1	56
مسلم ، صحيح مسلم ، ص: 2/1478 ، رقم الحديث (1851)	57
الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص: 51، بتحقيق أحمد البغدادي ، مكتبة دار ابن قتيبة الكويت الطبعة الأولى 1409 هـ	58
وهي الركوة و الخراج والعشور و الجريمة و الغائم و الفنى و العشر و الصدقات و كذلك الأموال التي ليس لها وارث و كالغضوب	59
والعواري و الودائع التي تذرع معرفة أصحابها ، انظر الموسوعة الفقهية والفقه الإسلامي للوهبة الزميلي	
فمثلا قوله تعالى ﴿وَلَنَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَذْكُرُونَ إِلَيَّ الْحَمْرَ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِبُونَ﴾ سورة آل عمران الآية: 110	60
عمرآن الآية: 104 و قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرًا مِّمَّا كُنْجِرْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ سورة آل عمران الآية: 110	
وقد مضى أقوال العلماء في ذلك ص: 12	61
ابن جماعة ، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ،ص:105، دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر الدوحة	62
الربع الإياضي ، كتاب مستند ، ص: 67	63
العقيلي، الضعفاء ، ص: 22/3 ، بتحقيق حمدي بن عبد الحميد ، دار الصميدي	64
العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، تذيب التهذيب لإبن حجر ، ص: 2/590، مؤسسة الرسالة	65
العسقلاني، تذيب التهذيب ، ص: 2/590	66
العسقلاني، تذيب التهذيب ، ص: 3/197	67
عبد الرزاق، المصنف ، ص: 11/336 رقم (20701)، وذلك عن دار الكتب العلمية، 1401 هـ	68
العسقلاني، تذيب التهذيب ، ص: 3/197	69
تفسير المراغي للقرآن الكريم ، ص: 8 / 32 ، طبعة مصطفى الباجي الحلي بمصر،طبعة الأولى 1365 هـ	70
عبد الرزاق، المصنف ، ص: 13/278 رقم (35629)	71
العسقلاني، تذيب التهذيب ، ص: 4/380	72